المبحث الثالث

○ الاستدلال بأحوال النبى قبل النبوة وبعدها :

إنه لابد لكل رسول لله أن يكون متصفاً بصفات أساسية حتى يكون أهلاً للرسالة من هذه الصفات الصدق والأمانة بحيث لو امتحن كل قول له لكان مطابقاً للواقع إذا وعد أو عاهد أو جد أو داعب أو أخبر أو تنبأ وإذا انتقضت هذه الصفة أى نقض فإن دعوى الرسالة تنتقض لأن الناس لا يثقون برسول كاذب .

والمكيون على خصومتهم لرسول الله ما كانوا يشكون فى أنه صادق لأنه لو أخبرهم أن خيلاً وراء الوادى ستغير عليهم لصدقوه لأنهم لم يعهدوا فيه كذباً ، لم يكذب قط فى مهمات الدين ولا فى مهمات الدنيا ، ولو كذب مرة لاجتهد أعداؤه فى تشهيره ولم يقدم على فعل قبيح لا قبل النبوة ولا بعدها .

كما أنه « ﷺ »تحمل المتاعب فى الرسالة لا طمعاً فى جاه بينما المتنبىء دعا من أجل طلب الدنيا .

وقد صبر على هذه المشاق والمتاعب « بلا فتور فى عزيمة ولما استولى على الأعداء وبلغ الرتبة الرفيعة فى نفاذ أمره فى الأموال والأنفس لم يتغير عما كان عليه، ينضم إلى ذلك « أخلاقه العظيمة وأحكامه الحكيمة واحترامه حيث يحجم الناس ولولا ثقته بعصمة الله إياه من الناس ... لا متنع ذلك عادة .

ورسول الله «ﷺ» وإن تلونت به الأحوال إلا أن حاله لم تتلون بل ظل على طريقة واحدة فلو تتبعنا علمنا « أن كل واحد منها وإن كان لايدل على نبوته لأن امتياز شخص بمزيد فضيلة عن سائر الأشخاص لايدل على كونه نبياً لكن مجموعها لا يحصل إلا للأنبياء قطعاً فاجتماع هذه الصفات فى ذاته من أعظم الدلائل على نبوته»(١) فضلاً عن أن أمر النبوة لم يشغله قبل البعثة،«فلم تزل إمارات النبوة لائحة (فيه) حين تدرج إليها وهو غافل عنها وغير متصنع لها »(٢) .

وهذه شهادة خصم عنيد لرسول الله « ﷺ » وأعنى به أبا سفيان ـ قبل أن يمن الله عليه بالشهادتين .

أخرج الإمام البخارى عن ابن عباس حديث أبى سفيان مع هرقل عظيم الروم ومنه يمكن الوقوف على الكيفية التى استدل بها هرقل ـ النصرانى ـ على صدق محمد « ﷺ » .

---

١ ـ الأيجى : شرح المواقف جـ٢ ص٤٢٧ الماوردى : إعلام النبوة ص٣٧ .